شرح أدلة شروط لإله إلا الله

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن أمان بن علي الجامي رحمه الله

العلم -اليقين - الإخلاص - الصدق - المحبة - الإنقياد - القبول

إعـــداد وتفـــريغ

أبو عبد الله عبد الرحمن بالحاج

شبكة الإمام الآجري
www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المحاضرة ألقيت في يومي الجمعة والسبت 26/25 من شهر صفر لعام 1414 هجري من رحاب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية .

اليوم 25 من شهر صفر 1414 هجري بعد صلاة المغرب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
هذه الشروط ذكر أدلتها هكذا بعض أهل العلم وربما ذكر اسمه في بعض النسخ هذا الجمع وذكر الأدلة وجمع هذه المسائل المهمة بما في ذلك الأصول الستة وغيرها من بعض من شرح الله له صدره من المعاصرين المحبين للتوحيد وأهل التوحيد الناصحين للشباب جمعوا هذا الجمع ورتبوا هذا الترتيب فنسأل الله أن يتقبل منهم .

* سبق أن ذكرنا شروط لا إله إلا الله وهي :

الشرط الأول : العلم

الشرط الثاني :اليقين

الشرط الثالث : الإخلاص

الشرط الرابع : الصدق

الشرط الخامس: المحبة

الشرط السادس: الانقياد

الشرط السابع : القبول

هذه الشروط لها أدلة ولابد من ذكر الأدلة لان اشتراط هذه الشروط لدى كثير من الناس المعاصرين أمر غريب وربما يقول قائل : ما أكثر ما تحدثون تأتوا كل يوم بجديد , نقول : نأتي بجديد وعليه دليل , الجدة نسبية بالنسبة لمن يعرف الجديد وكذلك لما جددت هذه الدعوة المباركة قيل إنهم أتوا بدين جديد والدين ليس بجديد ولكنه جدد , معنى التجديد أي لما أعرضت الناس عن الإسلام وجهلت الناس الدين ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام جاء المجدد ليبين للناس حقيقة الدين الإسلامي ليس التجديد أن يأتي الإنسان بجديد خارج الإسلام (لا) الدين ثابت ولكن قد يطرأ على أتباعه الجهل والإعراض والبعد عن الدين .
دعوة الناس من جديد إلى الدين وتفهيمهم للدين من جديد هذا الذي سمي تجديدا هذا معنى التجديد أما التجديد الجديد المنتشر اليوم أن يأتي كل صاحب فكرة بفكرة جديدة ويقنع أتباعه بأن هذه دعوة إسلامية وفيها ما فيها وافقت الدين أو لم توافق ثم يطلق على نفسه الشخص الفلاني أو الجماعة الفلانية هذا التجديد مذموم لأنه إعراض عن الدين والتجديد الذي نتحدث عنه ليس الإتيان بشيء جديد ولكن تجديد مفهوم الإسلام الذي غيرته الناس لذلك هذه الشروط ليست بجديدة كما ستسمعون أدلة من الكتاب والسنة ولكن قد يفتح الله على من شاء من عباده ويفقهه في الدين ويفهم من نصوص الكتاب والسنة ما لا يفهمه غيره وهذا ليس بأمر جديد ولكن فتح من الله .

الشرط الأول: العلم

الدليل على اشتراط العلم بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إلــه إلا الله ﴾ فــاعلم , بــدأ بــالعلم وقوله تعالى ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ يعلمون بلا إله إلا الله يعلمون اللفظ والمعنى والمقتضى , مجرد معرفة اللفظ أي حفظ اللفظ بدون معرفة لمعنى لاإله إلا الله لايفيد والمنافقون والكفار قد يحفظون هذه العبارة لكن كانوا يتحفظون خصوصا أهل مكة يتحفظون من نطقها لأنهم ما كان لديهم نفاق النفاق إنما انتشر هنــا في المدينة عندما جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه المدينة وفرق الإسلام بين المؤمنين وبين المنافقين , أهل مكة كانوا صرحاء كفار صرحاء لذلك أبوا أن يتكلموا بهذه الكلمة لأنهم لو تلفظوا بها يلــزمهم أن يلتزمــوا بمقتضاها لذلك من آمن منهم أيضا كان مؤمنا خالصا صادقا , لابد من العلم الذي يدعي أنه يشهد بكذا وهو لايعلم ما يشهد به شهادته مردودة , إلا من شهد بالحق , الحق هو ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام , الحق لا إله إلا الله , الحق هديه عليه الصلاة والسلام , كل ذلك حق ,﴿ إلا من شهد بــالحق وهــم يعلمــون ﴾ يعلمون ما شهدوا به يعلمون معنى لا إله إلا الله يحفظون هذه الجملة وهذه الكلمة ويعلمون معناها ويعملــون بمقتضاها : هذا من الكتاب .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح وهو في صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال قال رســول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾ نجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى من قال لا إله إلا الله نستفيد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله اشتراط التلفظ ومن هذا الحديث اشتراط التلفظ مع العلم من مات وهو يعلم , جملة حالية والحال أنه يعلم أنه لاإله إلا الله دخــل الجنة , دخل الجنة من أول وهلة يحتمل , دخل الجنة أي مصيره الجنة يحتمل , إن كان من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب كالذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون الأمر واضح وإن كان من غــيره أي أن مصيره إلى الجنة , مصير أهل التوحيد , مصير من صدقوا في التوحيد ولو دخلو النار بذنوبهم ولم يــسعفهم الله سبحانه وتعالى بشفاعة الشافعين وارتكبوا ما يوجب دخول النار فدخلوا ولكن مآلهم إلى الجنة فدخلوا النــار فمآلهم إلى الجنة هذه عقيدة أهل السنة والجماعة , لا يبقى في النار ممن دخل النار من عصاة الموحدين لا يبقى في النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان لابد أن يخرج هذه عقيدة ثابتــة يخــرج بــشفاعة الشافعين وسيد الشفعاء محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام يشفع الأنبياء والعلماء والصالحون والأطفال وفي النهاية يخرجون بمحض رحمة أرحم الراحمين هذا لأن هذه الكلمة من قالها مستيقنا من قلبه صادقا مهما ارتكب ما ارتكب ثم بعد ارتكاب ما ارتكب إما أن الله سبحانه وتعالى يسعفه بشفاعة الشافعين فلا يدخل النار لأنه من شفاعته عليه الصلاة والسلام أي من أنواع الشفاعة يشفع لمن تساوت حسناته وسيئاته لترجح حسناته علــى سيئاته فيدخل الجنة فيشفع عليه الصلاة والسلام لمن رجحت سيئاته على حسناته ليدخل الجنة بشفاعته عليه

الصلاة والسلام , هكذا في أنواع الشفاعة فهذه الأحاديث التي بين أيدينا لابد أن تفهم هكذا منها ما يدل على أن من قالها لا يدخل النار أصلا ومنها ما يدل على أنه لا يخلد في النار المعنى على حسب ما شرحنا وأشرنا إليه.

الشرط الثاني :اليقين

اليقين أعلى مراتب العلم ,العلم هو المعرفة , هذه المعرفة قد يتطرق إليها الشك والتردد والاضطراب إذا تجاوز العلم هذه المرتبة ووصل إلى درجة الرسوخ والثبوت يسمى اليقين حيث لا يخالطه شك هذا الواجب وهذا هو الشرط الثاني الذي هو من أعظم الشروط والدليل قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ إنما أداة حصر , إنما المؤمنون , المؤمنون حقا الذين ءامنوا بالله ورسوله على التفصيل المعروف , ثم لم يرتابوا , لم يرتابوا في إيمانهم بالله , بوجود الله , بقدرة الله ,في أسمائه وصفاته , في ربوبيته , في ألوهيته , في حاكميته , , لم يرتابوا في إيمانهم برسول الله عليه الصلاة والسلام أنه رسول الله خاتم الأنبياء , ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا , أما المرتاب فهو من المنافقين , الذي لم يصل علمه إلى درجة اليقين في دينه , في كل شيء وفي جميع ما يجب الإيمان به لديه تردد وأخذ ورد في ما بينه وبين نفسه لم يكن على يقين يرفض التردد والشك لم يكن مؤمنا فإيمانه إيمان رسمي ليس الإيمان الحقيقي الإيمان الحقيقي النافي عند الله الذي يستحق المدح والثناء أصحابه هو الإيمان الذي يصل إلى درجة اليقين بحيث لو قطع إربا لن يرجع عن الدين كونه يلقى في النار أهون عليه من أن يرجع عن الدين بعد أن تمكنت بشاشة الإيمان من قلبه هذا هو اليقين .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة ﴾ على التفصيل الذي ذكرنا , إلا دخل الجنة من أول وهلة عن كان من أصحابها من الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب أو إلا دخل الجنة بعد التطهير أو بشفاعة الشافعين قبل دخول النار أو إن دخل بعد التطهير لأن الجنة دار الطيبين لا يدخلها إلا الطيبون , عصاة الموحدين يطهرون بالنار فإذا طهروا أخرجوا وهم حمم فحم يلقون في نهر الحياة فينبتون كما ينبت البقل فيكون مصيرهم إلى الجنة .

وفي رواية ﴿ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيـــــهما فيحجب عن الجنة ﴾ لا يحجب عن الجنة عاجلا أو آجلا , وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل ﴿ من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة ﴾ لو لم يكن مستيقنا لا يستحق هذا الوعد العظيم والوعد الكريم إنما يستحق الوعد من الله ومن رسوله عليه الصلاة والسلام الذي يخبر عن الله , المستيقن الذي لم يكن شاكا أو مرتابا .

الشرط الثالث :الإخلاص

ودليل الإخلاص قوله تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ الدين الخالص هو المقبول عند الله , إن الله لا يقبل الشركة , الله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء لا يقبل عملا دخلته الشركة أبدا بل يجب أن يكون العمل خالصا لله هو الدين الخالص المقبول عند الله وقوله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ المحبة والإخلاص كل ذلك روح الإيمان , لا إيمان إلا بإخلاص وإلا بمحبة كما سيأتي .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو من نفسه ﴾ هذا الحديث له قصة , أبو هريرة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا (يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة) سؤال عظيم , لعظمة هذا السؤال علق النبي عليه الصلاة والسلام على هذا السؤال تعليقا يدل على منقبة عظيمة لأبي هريرة قبل أن يجيب عليه قال ﴿ يا أبا هريرة كنت أظن هكذا لا يسألني أول منك هذا السؤال هكذا كنت أظن لا يسألني قبلك أحد هذا السؤال ﴾ لأنه محب للسنة وجامع للسنة ومن كبار الحفاظ , بعد هذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو من نفسه ﴾ هذا الحديث وما في معناه ينبه المسلم ألا يطلب الشفاعة من رسول الله عليه الصلاة والسلام لأن هذا يتنافى مع الإخلاص , يوقعك في الشرك وأنت لا تدري لأن الشفـــاعة لله الشفـــاعة كلها لله قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ إنما يطلب الشيء من مالكه , مالك الشفاعة هو الله لا تطلب الشفاعة من رسول الله عليه الصلاة والسلام أطلب من الله أن يشفع فيك رسوله عليه الصلاة والسلام أطلب من الله أن يجعلك من أسعد الناس بشفاعته تعرض للأسباب , أسباب الشفاعة كثيرة وبعضها سبب هين جدا وميسور على من يسره الله عليه , ما أيسره ولكن ماأكثر غفلتنا عن هذا السبب العظيم , تسمع الأذان وتتابوتقول كما يقول ثم تصلي على النبي عليه الصلاة والسلام فتطلب لرسول الله عليه الصلاة

والســـــــلام الوسيلة والفضيلة من فعل ذلك وجبت له شفاعته عليه الصلاة والسلام , سهل ميسور ولكـــن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم , يأتي يشغلك صاحبك هذا يسألك وهذا يتكلم معك وينتـــهي الأذان وأنت ما تابعت ولا صليت ولا دعوت حتى تقام الصلاة مشغول ماهذا الشغل , فلننتبه لأنفسنا لنتعرض لهذه الأسباب أسباب الشفاعة فلنعلم يقينا ولنبين للناس أن الشفاعة إنما تطلب من رب العلمين هو الـــذي يـــأذن للرسول عليه الصلاة والسلام ولغيره بالشفاعة أما تعلمون بأنه في ذلك الهول العظيم عندما يعتذر الأنبياء جميعا عن الشفاعة العظمى , في الهول العظيم يلهم الله العباد ليطلبوا الشفاعة من الأنبياء فيبدءون بـــــآدم أبو البشر عليه السلام فيعتذر فيحيل الناس إلى نوح عليه السلام فيعتذر , إلى إبراهيم عليه السلام , فيعتذر إلى موســـى عليه السلام فيعتذر , إلى عيسى عليه السلام , فيعتذر الجميع حتى يصل الأمر إلى رسول الله عليـــه الـــصلاة والسلام سيد الشفعاء فيقول أنا لها عليه الصلاة والسلام , بعد أن قال لها كيف يشفع هل يذهب ليختار بني هاشم الأقارب ((لا)) إنما قال أنا لها لأنه عليه الصلاة والسلام علم ذلك من الله , ما ينطق عن الهوى لكـــن بعد ذلك يسجد سجودا طويلا لم يسجد مثله قبل في الدنيا فيفتح الله عليه من الثناء على الله والتضرع والدعاء ما لايعلمه قبل ذلك كما قال النبي عليه الصلاة والسلام هكذا يستأذن فيقال له بعد سجود طويل والثناء على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله يقال له يامحمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفَّـــع ,

من هذا الحديث تتصورون بأن الأنبياء وفي مقدمتهم سيد الشفعاء لا يشفعون من عند أنفسهم إلا بـــإذن الله بصريح الآية , إذا لماذا نتساهل مع عوامنا ونحن نسمع وهم يقولون إشفع لنا يارسول الله ؟ يجب أن يبين لهم أن الطلب خطأ وإما يقال ((اللهم شفع فينا نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من أهل شـــفاعته)) هذا هو الطلب الصحيح , وفي الصحيح من عتبان ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل ﴾ مخلص صادق لم يقل ريـــاءً ولم يقل عادةً وتقليداً ولكن قاله يبتغي بذلك وجه الله مخلصاً صادقاً في ذلك .

وللنسائي في عمل اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا من قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض وحق لعبد نظر الله إليه أن يؤتيه سؤله ﴾ هذا الحديث تحت البحث والفحص إلا إذا كان بين شبابنا من اطلع على درجته فيفيدنا بعد الدرس .

أنا لم أطلع حتى الآن على درجة هذا الحديث وهو تحت البحث بالنسبة لي ومن لديه علم يفيدنا بما لديه , أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام بحر قد يطلع طالب علم على ما لم يطلع عليه من يدعي علم التجريد , كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول لأحمد رحمه الله ((إن بلغكم شيء من حديث رسول الله عليـــه الـــصلاة والسلام فأبلغونا)) الإمام أحمد كان يتفقه على الإمام الشافعي ولكنه أكثر بحثاً واطلاعاً وحرصاً على السنة إمام السنة والجماعة , يطلب من تلميذه إن بلغه شيئا أن يبلغه فنحن نطلب من شبابنا وتلاميذنا إن بلغهم شيء من الأحاديث أن يبلغونا فجزاهم اللـــــــه خيراً .

الشرط الرابع : الصدق

ودليل الصدق قوله تعالى ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون﴾ إستفهام الإنكار , أي لايترك الناس بمجرد دعوى الإيمان وأن يقولوا إنهم ءامنوا بدون اختبار , يختبر المرء في هذه الدنيا في إيمانه بفتن ﴿ ولقد فتنا الذين من قبله فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ أي علم ظهور, الله سبحانه وتعالى عالم به لكن ليعلم منه علم ظهور ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ يظهر للعباد الصادق من الكاذب بالامتحان , الامتحان يظهر صدق المؤمن وكذب الكاذب المنافق , هكذا يعلم الله علم ظهور أي يظهره للعباد الله سبحانه وتعالى عالم دائما وأبدا ما في نفوس عباده من الصدق والكذب . وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر﴾ ما أسهل القول ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ إذا مجرد دعوى الإيمان بالله واليوم الآخر لا تجعل المرء مؤمنا , من صفاتهم المنافقون ﴿ يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ يخادعون الله بالتظاهر بالإيمان كما يقولون يلعبون على الحبلين مع الكفار ومع المؤمنين ليعيشوا هدف المنافقين أن يعيشوا في هذه الحياة سالمين لئلا يتعرض لهم الكفار ولا المؤمنون وقوله تعالى ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ لا يشعرون أنهم إنما يضرون أنفسهم بهذا التلوث , ثم قال تعالى ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ هذا مرض النفاق , القلب يمرض بمرض النفاق ومرض الشبهة ومرض الشهوة فأخطر الأمراض مرض النفاق , ثم قال تعالى ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ عقوبة لهم ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ لأنهم لم يصدقوا مع الله .

ومن السنة : ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار﴾ حرمه الله على النار لا يدخلها من أول وهلة على ما تقدم أو حرمه الله على النار , نار الكفار نار التأبيد لا يؤبد بل لابد أن يخرج إما يحرم على النار من أول مرة , لاتمسه النار ولا يدخل النار أو يحرم على النار على نار التأبيد نار الكفار لأن دار عصاة الموحدين تنتهي , الدار التي لا تنتهي عذاب الكفار .

الشرط الخامس : المحبة

ودليل المحبة قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ جمع ند من يحبه ويعبده ويخضع له ويتذلل له ﴿ يحبونهم ﴾ الأنداد ﴿ كحب الله ﴾ , أشركوا بالله في الحب يحبون أندادهم كما يحبون الله هذا معنى , أي محبتهم موزعة بين الله وبين الأنداد رفعوا الأنداد إلى درجة رب العلمين يحبون الأنداد , يخضعون لها ويتذللون بين يديها ويحبونها كما يحبون الله ثم قال تعالى ﴿ والذين ءامنوا أشد حبا لله ﴾ لأن محبتهم غير موزعة خالصة لله سبحانه وتعالى هذا معنى , المعنى الثاني : يحبونهم كحب الله أي كحب الموحدين الله ليس كحبهم الله ((لا)) أي كمحبة الموحدين الله رب العلمين ﴿ والذين ءامنوا أشد حبا لله ﴾ لأن محبته لله محبة صادقة وتلك المحبة مزيفة , محبة الموحدين لله سبحانه وتعالى أشد وأصدق هذا معنى وذاك معنى .

وعلى كل من اتخذ من دون الله نداً يحبه فيطيعه فيتبعه ويتحاكم إليه ووصلت هذه المعاني إلى درجة محبة الموحدين لله رب العلمين في التذلل والخضوع والتعظيم هذا من نواقض الإسلام كما نعلم ومن اشد أنواع الشرك , الشرك في المحبة من أشد أنواع الشرك وأخطر أنواع الشرك لأن هذا دليل على خراب القلب وخراب القلب هو الكفر نفسه , من خَرِبَ قلبه وخرجت محبة الله من قلبه أو ضعفت هلك , فنسأل الله لنا ولكم السلامة . وقوله تعالى ﴿ يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ما أعظم هذه المحبة , محبة متبادلة لقوم يحبهم الله يحب عباده الصالحين يحبهم وهم يحبون الله هذه المحبة العظيمة نفتها الأشاعرة للأسف , لست أدري كيف قلوبهم عندما يدعي الأشعري أن الله لا يُحِب ولا يُحَب ويتفلسف ويقول ما العلاقة بين العبد وبين الرب حتى يُحِب فَيُحَب , أأنتم أعلم أم الله , الله يخبر يأتي بقوم يحبهم لشدة إيمانهم وصدق إيمانهم وصلاحهم وتقواهم وهم يحبون الله لأنه المنعم المتفضل سبحانه , إذا لم يحب العبد ربه وخالقه وولي نعمته من يحب ؟

على من تأثر بالعقيدة الأشعرية من الشباب المعاصرين أن يتراجعوا خصوصا في هذه الصفة صفة المحبة هذا شيء خطير إلا أني أعتقد أنهم متناقضون أي ربما يحبون الله ولكن تقليدا للمذهب يقول الله لا يُحِب ولا يُحَب وهو يحب الله لايدري هذا , بدليل تدل أعمال كثير منهم وتصرفاتهم بأنهم يحبون الله لكن المذهب المقرر يقول لهم لا يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه يُحِب أو يُحَب تقليدا لأن عقيدتهم مضطربة دائما مبنية على التقليد لاأساس لها , لاتظنوا أن بيني وبين الأشاعرة عداوة لأنني أكرر الكلام فيهم دائما هكذا ولكن شفقة على هؤلاء المساكين الذين يدرسون هذا المذهب التعبان إن صح التعبير .

تتمة الدرس: اليوم 26 من شهر صفر 1414 هجري بعد صلاة المغرب.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
لا نزال في دليل المحبة , ذكرنا الآية الأولى , والآية الثانية قوله تعـــالى ﴿ يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ سبق أو تقدم الكلام على ذكر المحبة عند هذه الآية , فسوف يأتي الله بقوم يحبهم لقوة إيمانهم وصدقهم في إيمانهم ويحبونه , الله سبحانه وتعالى يحب أولياءه , وأولياؤه يحبون الله تعالى ودليل المحبة : الطاعة والانقياد , المحبة عمل قلبي بالنسبة للمخلوق وبالنسبة لله تعالى صفة ثابتة لله لا نعلم كنهها , نَصِفُ الله بالمحبة بأنه يحب وبأنه يغضب وبأنه يرضى وبأنه يكره , هذه أفعال من أفعال الرب سبحانه وتعالى تسمى الصفات الفعلية لا نكيف ولا نشبه ولا نحرف لا نقول المراد بالمحبة إرادة الإحسان أو إرادة الإنعام كما تقول الأشاعرة وهذا تفسير باللازم , تفسير الصفة بالصفة , حولت الأشاعرة كلا من المحبة والرضى والرحمة والغضب والبغض والانتقام كل هذه الصفات وهي صفات الأفعال حولوها بالإرادة بدعوى أن هذه الصفات انفعالات نفسية لا تليق بالله من زعمهم وتناقضوا , الإرادة للمخلوق أيضا من الانفعالات النفسية لا فرق بين المحبة والرضى والإرادة والغضب كلها بالنسبة لنا انفعالات نفسية وتغيرات ولكن القوم كما تقدم عقيدتهم مجرد تقليد هكذا وجدوا في كتبهم فأولوا هذه الصفات ونحن لا نقول محبة الله كمحبة المخلوق وغضبه كغضب المخلوق ورضاه وكراهته وغير ذلك من الصفات بل كلها صفات تليق بالله تعالى يتصف بها الرب سبحانه وتعالى لأن الله وصف بها نفسه ووصفه بها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ويجب التسليم لخبر الله , لا سلامة إلا على قدم الاستسلام والانقياد ومن يريد السلامة في دينه وعقيدته يسلم لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ولا يعترض على خبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام .

يوصف الرب سبحانه وتعـــالى بالمحبة , من صفات المؤمنين أنهم يحبون الله ومن صفاتهم أنهم أذلة على المؤمنين , بالنسبة للمؤمنين يتواضعون ويرحمـــون ويشفـــقون ويرحم بعضـــهم بعضا أعزة على الكافرين , وبالنسبة للكفار فهم غلاظ شداد يشتدون عليهم لايجاملونهم ولا يوالونهم ولا يحبونهم كل ذلك لأنهم أعداء الله , ومن أحب محبوبا يجب أن يكره من يكرهه ويحب من يحبه فالله سبحانه وتعالى يحب الإيمان وأهل الإيمان ويحب الطاعة وأهل الطاعة , يجب عليك أن تحب الإيمان وأهل الإيمان والطاعة وأهل الطاعة بهذا تكون وافقت مراد الله تحقيق التوحيد أن يتحد مراد المحب مع مراد المحبوب وإذا خالفت ذلك لم تحقق التوحيد ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ هذه هي صفات المؤمنين الذين يحبون الله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبون من يحبه الله وما يحبه الله من الأعمال .

ومن السنة : ما ثبت في الصحيح عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بهـــن حـــلاوة الإيمان , أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما , وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ,وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار ﴾

الإيمان له حلاوة لكن حلاوة الإيمان لا يذوقها كل إنسان ولا يتلذذ بها ويتمتع بها كل إنسان انتبه , متى تجد حلاوة الإيمان متى تحس بإيمانك حلاوة , ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان اختبر نفسك .

أولا : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما , بحيث لا يقدم على مرضاة الله أي شيء ولا يقدم على هدي رسـول الله عليه الصـلاة والسلام أي كلام وأي مذهب وأي رأي , ينتهي إلى كلام الله وإلى تطبيق سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام واتباعها ولا يلتفت إلى شيء آخر هذه المحبة أن يحب الله ورسوله كما قلنا المحبة عمل قلبي والعمل القلبي يحتاج إلى ما يشهد له ما يشهد لصدقه , طاعتك لربك سبحانه وتعالى وامتثال أمره ونهيه دليل على محبة الله تعالى وتقديمك لمرضاته على مرضاة أي مخلوق هذا دليل محبة الرب سبحانه وتعالى ومحبة الله روح الإيمان , الإيمان بدون محبة الله كالجسد الميت ليس به شيء , إيمان شكلي ولكن المحبة الصادقة هي التي تعبر عن صدق إيمانك بالله سبحانه وتعالى , كذلك محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يعبر عنها بالطعام ولا بالحلويات ولا بالعطور ولا بالاحتفالات التي يسميها بعض الناس الاحتفالات الدينية أو المناسبات الإسلامية , ليس في الإسلام مناسبات وليس في الإسلام احتفالات ولي في الإسلام التعبير عن محبة النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الاجتماعات المبتدعة التي يجتمع فيها في كثير من الأقطار الجنسان معا في أحسن زيهم وفي عطورهم وزينتهم باسم الاحتفال بالنبي عليه الصلاة والسلام وإذا سألت لماذا ؟ تعبيرا عن محبة النبي عليه الصلاة والسلام , محبة رخيصة تجد في المحتفلين من لا يصلي من لا يلتزم من هو أبعد الناس عن تعاليم الإسلام وعن التمسك بالإسلام ولكن يريدوا أن يعبروا عن محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك الاجتماع والاحتفال وأكل الطعام ثم الرقصات الشعبية التي يسمونها ذكر الله , ياسبحان الله ما أشد غربة الإسلام محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام يعبر عنها بأن تتعلم سنته , العلم قبل القول والعمل ترفع رأسك لتتعلم لا تعرض عن سنته عليه الصلاة والسلام لاتحسب بأنك تتعلم وتكون عالما فقيها في دين الله وأنت لا تدرس سنته مهما درست ما درست من أقوال الرجال ما لم ترض هذه الأقوال على سنة النبي عليه الصلاة والسلام وخضها لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام فأنت لست بمحب محبة صادقة , تعلم هديه عليه الصلاة والسلام والعمل بها والدعوة إليها هذه هي المحبة الصادقة أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما , المحبة الشخصية الذاتية لاتفيد , محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام المحبة الذاتية المحمدية بدون محبة الرسالة غير نافعة.

أبو طالب كان يحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ويتفانى في حبه ويدافع عنه ويستميت دونه ويعلم صحة دينه , لنعلم أن الإيمان شيء زائد على العلم والمعرفة كونه الإنسان يعرفه أنه رسول الله عليه الصلاة والسلام لايكفي بل لابد من المحبة التي من أجل أنه رسول الله لاالمحبة الذاتية القرابية , أبو طالب يحب رسول الله عليه الصلاة والسلام يقدره ويدافع عنه لما بينهما من القرابة وأعلن عن ذلك أنه لم يؤمن وبين السبب في عدم إيمانه حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ما الذي منعه , الملامة وخوف المسبة , لو ءامن يلومونه , رجل له شعبية بين قومه , يعيرونه , يقولون غير دين عبد المطلب وهذا شيء عظيم عندهم كونه الإنسان يطعن ويقال أنه غير دين ءابائه وأجداده خاف من هذا ولم يؤمن , إذا المحبة الصادقة محبة مع الإيمان والانقياد والطاعة , هي المحبة الصادقة النافعة أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

ثانيا : وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله , علم في شخص ما دون أن يكون بينهما قرابة أو أي مصلحة علم بأنه يحب الله وأنه من الصالحين وأنه يتقي الله وأنه يتبع هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ظن فيه الظن الحسن لأنه من أولياء الله تعالى ,يحبه في الله لا يحبه مع الله ولكن يحبه في الله , ولو أحب مع الله كأن كان ذلك الشخص شيخ طريقة وعظيما من العظمـــاء ومن الذين يدعون الصـــلاح والتقوى والولاية أحبه مع الله وعظمه كما يعظم الله وتذلل بين يديه هذا شرك أكبر , فرقوا بين المحبتين الحب في الله والحب مع الله , الحب في الله بـــ (في) والحب في الله ولله من وجد هذه المحبة في شخص يظن فيه الخير وأحبه لذلك ومن السنة أن يخبره بأنه يحبه في الله يذوق حلاوة الإيمان ويجدها في عمله هذا العنصر الثاني .

أما العنصر الثالث: أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار , يخاف من الردة ومن الرجوع إلى الكفر يخاف ويحذر ويعرف أسباب الردة ويتجنبها ويستعيذ بالله من الردة ليل نهار خوفا من الرجوع إلى الكفر ومن الوقوع في الكفر , إذا وصل الخوف من الكفر والردة إلى درجة القلق يخاف على نفسه من النفاق ومن الكفر ومن الردة ويستعيذ بالله إن اجتمعت هذه العناصر الثلاثة يجد حلاوة الإيمان ويظهر ذلك في عمله وفي عبادته تجده نشطا في العبادة غير كسول وصبور على العبادة يصبر على طاعة الله , ويصبر عن معصية الله , ويصبر على البلاء في الله , هذا هو الإيمان الصحيح.

الشرط السادس : الإنقياد

ودليل الانقياد لما دلت عليه كلمة لا إله إلا الله الانقياد لها والإذعان لها قوله تعالى ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ الرجوع إلى الله والمبادرة إلى التوبة والاستسلام لله ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ هذا هو الانقياد وقوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ الاستسلام والانقياد والإذعان بمعنى واحد أي بلا إله إلا الله العروة الوثقى فسرت بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك ففيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ آية عظيمة ينبغي للإنسان أن يختبر إيمانه بهذه الآية ﴿ فلا وربك ﴾ (لا) داخلة على محذوف لا يؤمن أولئك الذين يزعمون أنهم ءامنوا بالله ورسوله .

الذين يحاكمون إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به لا يؤمنون لأن الآية تابعة للآيات السابقة ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾ أقسم الرب سبحانه وتعالى بنفسه وأضاف المقـــسم به إلى نبيه ورسوله عليه الصلاة والسلام إلى المخاطب , يقسم الرب بنفسه وأضاف إلى رسوله عليه الصلاة والسلام الذي يخاطبه تعظيما لهذا الخبر فخبر الله صادق دائما سواء أَصُدِّرَ بقسم أم لا ليس كالأخبار الأخرى , الخبر من حيث هو في غير خبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام ما يحتمل الصدق والكذب هذا يقال في الأخبار العادية أما خبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام لا يحتمل إلا الصدق ولكن إذا أكد اليمين بالقسم وذلك من باب التأكيد , لا يؤمن الذين يدعون الإيمان حتى يتركوا التحاكم إلى الطواغيت وإلى غيرك يتركون التحاكم إلى اليهود والأحبار وإلى الرهبان وإلى آراء الرجال وآراء العلماء يتركون كل ذلك يحكمونك أنت وحدك لأنك أنت وحدك الرسول إليهم خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ كلما يحصل بينهم من الحزازات والاختلاف والنزاع إنما يتحاكمون إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى ما جاء به هذه أول خطوة , الخطوة الثانية ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ بعد التحاكم إليك وصدر حكمك للشخص أو عليه لا يجد في نفسه حرجا وحزازة وانقباضا وتوقفا طالما علم بأن هذا حكم الله وحكم رسوله عليه الصلاة والسلام يقبل بانشراح صدره لا يجد في نفســـه أي حزازة أو توقف ,ثم أكد ذلك بقوله ﴿ ويسلـــموا تسليما ﴾ فرق بين أن يقال ﴿ ويسلموا ﴾ بدون تأكيد وبين أن يؤكد ذلك بالمصدر ﴿ ويسلموا تسليما ﴾ تسليما كاملا لا توقف فيه , وكذلك قوله ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ هذا المصدر مؤكد للفعل يؤكد الحقيقة وينفي المجاز ويسلموا تسليما كاملا لا نقص فيه ولا تردد هكذا يكون الأيمان .

فرسول الله عليه الصلاة والسلام لم يبعث إلينا لنعرف تاريخ ميلاده ونحتفل , وتاريخ وفاته ونحتفل , وتاريخ الهجرة ونحتفل , هذه الاحتفالات بالمناسبات التي سماها الذين يفترون على الإسلام المناسبات الإسلامية , الاحتفالات الإسلامية كلها كذب على الإسلام ليس هذا من الإسلام في شيء , الإسلام دين عمل ليس دين المناسبات والاحتفالات هكذا يتم الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام وبذلك يتم الإيمان بالله سبحانه وتعالى بهذا الانقياد .

قبل أن نترك الاحتفالات ونحن على أبواب دخول شهر ربيع الأول وهذا الشهر يحتفل فيه في بعض الأقطار احتفال رسمي بمستوى عالي وتباع الحلويات على حساب رسول الله عليه الصلاة والسلام , يكتب على المحلات حلاوة المولد النبوي يعني موسم يتاجر فيه التجار باسم النبي عليه الصلاة والسلام في بيع الحلويات والعطور ما أرخص هذه المحبة , أليست هذه سخرية برسول الله عليه الصلاة والسلام نجعل اسم النبي عليه الصلاة والسلام مناسبة لبيع الحلويات والعطور للناس ودعاية أين هذه المحبة أين الاحترام أين التقدير وقد يكون الذي يعمل هذا العمل قبطيا ليس بمسلم يبيع الحلويات والعطور باسم النبي عليه الصلاة والسلام , حلاوة المولد النبوي على دكان قبطي , أين الغيرة الإسلامية , أين المسلم الذي يغار على دينه ويحب رسول الله عليه الصلاة والسلام المحبة الصادقة , هكذا يسخرون من رسول الله عليه الصلاة والسلام باسم الاحتفال , ولننتقل إلى ما نحن بصدده هذا الاحتفال يقع في هذا البلد وقد يأتي بعض المسلمين من أقطارهم ليحتفلوا بالمولد في المدينة النبوية , فليعلم هؤلاء من باب البيان نقول هذا القول تأسما خروجا من الاسم إسم الكتمان أن هذه الاحتفالات التي تقع في هذه المدينة النبوية الطاهرة منكر وحدث تدخل في قوله عليه الصلاة والسلام عندما بين مكانة هذه المدينة النبوية بعد أن بين حدودها فقال ﴿ من أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ فلنعلم بأننا نعيش في بلد غير عادي , المدينة النبوية مدينة غير عادية لها آدابها ولها شروطها ولها مكانتها من يعيش فيها عليه أن يجتنب ارتكاب الكبائر وإحداث البدع في هذا البلد,وإلا فهو ملعون فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين , إحداث البدع وارتكاب الكبائر في المدينة ليس كغيرها من المدن الأخرى , بلد اختاره الله فيجعله مهاجر رسول الله عليه الصلاة والسلام فرسول الله بين حدود المدينة وبين فضل من يعيش فيها ويصبر على الأذى وعلى ما يناله في هذه المدينة من الضيق وحث أن يموت الإنسان في هذه المدينة فمن استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل ومن مات بها يكون له شفيعا أوشهيدا يوم القيامة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام مدينة لم يحث النبي عليه الصلاة والسلام على سكنى غيرها كما حث على سكناها علما بأن الصلاة مضاعفة في مكة أكثر كما نعلم جميعا لكن لم يحث على سكنى مكة كما حث على سكنى المدينة ومع ذلك لابد من ملاحظة هذه المعاني والابتعاد عن إحداث بدع في بلد السنة عاصمة السنة عاصمة المسلمين الأولى ابتعد عن الابتداع وعن إحداث البدع وعن ارتكاب الكبائر وإن حدث شيء من ذلك فبادر بالتوبة ولا تؤوي محدثا صاحب بدعة , من جماعة التكفير ومن الجهمية وغيرهم ,لا تؤويهم ,لاتكن متسترا على أهل البدع ولا أصحاب الكبائر خوفا من الله لا خوفا من السلطة يجب أن تخاف الله وتراقب الله وأنت في مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة النبوية , أدرسوا تاريخها واعرفوا مكانتها جعل الله لها هذه المكانة بسبب هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ومن السنة : قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ﴾ هذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم لكن كلام لايضر لأن معناه صحيح مائة في المائة , فليعلم طلاب العلم , قد يكون الحديث من الناحية الصناعية فيه ضعف لكن معناه صحيح إما لوجود حديث صحيح يشهد له أو لوجود القاعدة العامة المأخوذة من الكتاب والسنة تشهد لذلك المعنى ويصح معناه والإسناد غير صحيح (راجع علم المصطلح) شريطة أن تراجع وتأخذ العلم من أفواه الشيوخ وأفواه الرجال , إياك وإياك أن تأخذ العلم من بطون الكتب أيها الطالب الصغير , من يجعل شيخه كتابه فخطأه أكثر من صوابه هذا مثل ساري بين أهل العلم ومطبق ومجرب , طالب علم يريد الاستقلال والانفراد ويبتعد عن المشائخ وعن الرجال ويتخذ زوايا في المساجد والبيوت ويعلن نحن رجال وهم رجال هذه علامة الخيبة خسارة على شاب يصل إلى هذه الدرجة سوف لا يتقدم أبدا في علمه بل إن كثر هذا الصنف بين الشباب نحن نخشى أ تتجدد الجهيمانية لأن الجهيمانية بدأت هكذا من شباب تطرفوا وزهدوا في الشيوخ وطعنوا في العلماء فأخذوا الكتب والمراجع فخرجوا إلى البوادي يريدوا أن يتفقهوا في البادية في كتبهم فصار أمرهم كما علمتم والذي نخشى من بعض شبابنا الذي بدأ فيهم هذا المعنى بدأوا يطعنوا فلان جاهل من العلماء كل العلماء أوجدوا لهم عيوبا ومطاعن لينفروا الناس عنهم هذه نزعة شيطانية ليست بسهلة بهذه الطريقة يريدوا أن يخرجوا الشباب من أيدي المشائخ ويستولي عليهم الشيطان فيخرجوا إلى القرى والبوادي فنسأل الله السلامة ألا تتكرر تلك الفتنة ومن عاش تلك الفتنة وعاشرها وعرفها وأراد أن يطبق الآن ما يصبوا إليه بعض الشباب أمر خطير من بوادر تلك الفتنة فنسأل الله لنا ولكم السلامة ولجميع المسلمين , وهذا هو تمام الانقياد أن يكون هواك تبعا لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام لا تميل ولا ترغب ولا تريد أن تعمل إلا بهديه عليه الصلاة والسلام وهل يتم ذلك إلا بالعلم , إذا العلم هو الأساس , العلم قبل القول والعمل فليتعلم شبابنا , فليبتعدوا عن هذه الموجة المخيفة , فلينصرفوا إلى التحصيل , فليدرسوا , فليحفظوا , فليعرضوا ما حفظوه على الرجال فيتعلموا بذلك يكونوا قد حفظوا لنا مستقبل هذه الأمة وهم شباب اليوم ورجال الغد أما اليوم فهم شباب لا ينبغي أن يقولوا نحن رجال وهم رجال , (لا) أنتم اليوم شباب إن شاء الله ستصبحون رجالا , رجال علم مسـؤلين عن العقيدة وعن الشريعة وعن الأمة وعن قيادة الأمة فنسأل الله لنا ولكم الثبات .

الشرط السابع : القبول

ودليل القبول قوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ , دائما أصحاب الترف والمتكبرون هم الذين يكفرون بالأنبياء ويعارضون المصلحين ويبدأ في الدخول في الإصلاح في دعوة الرسل وفي دعوة المصلحين الضعفاء ومشكلة أهل الترف مشكلة قديمة ليست من اليوم وهم أجهل الناس وأبعد الناس عن الهدى إلا مَنْ مَنَّ الله عليه وجمع الله له بين العلم والجاه والمال والمنصب وقليل ماهم وقال تعالى ﴿ قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ يعني لا تتركون تقاليد آباءكم ولو جئتكم بأهدى من ذلك ﴿ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ هكذا صارحوا الرسل وهكذا يصارحون المصلحين وقوله تعالى ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الله المستعان , رسل الله المختارون , أهل الترف والمتكبرون يسمونهم مجانين ويصفونهم بالجنون والإفتراء وأنه شاعر ويصبرون على ذلك الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة فهو قادر أن يهدي الجميع وينقادوا من أول وهلة ولكن الله يبتلي رسله ويبتلي المصلحين التابعين للرسل بالناس هذا يكذب وهذا يقول أنت مجنون وأخيرا كبعض أنبياء بني إسراءيل إنتهى أمرهم إلى القتل قتلوهم , لماذا يترك الرب سبحانه وتعالى وهو الذي أرسلهم ويرى ويسمع ويعلم كل ما يجري ؟ لحكمة يعلمها ولا نعلمها وليس لأحد أن يعترض على الله فيقول يا رب أنت الذي أرسلت هؤلاء الرسل والقوم يقولون لهم أنت فقير وأنت كذاب وأنت مجنون وأنت شاعر لماذا تركتهم وشأنهم ؟ كل ذلك لحكمة يعلمها ولا نعلمها ويحمد على ذلك كله الرب سبحانه وتعالى يحمد على المحبوب وعلى المكروه لذلك دعاة الحق إن أوذوا فليتذكروا موقف الرسل وموقف الناس منهم , الداعية الذي يحاول أن يكون محبوبا لدى الناس جميعا على اختلاف طبقاتهم وميولهم وانتماءاتهم وجماعاتهم كلهم يحبونه هذا مداهن , الداعية الذي يحاول أن يرضي الناس جميعا لا أحد يغضب عليه كل واحد يقول هذا عادل فلان عادل كل الفرق وكل الطوائف وكل الجماعات وكل الإتجاهات راضية عنه , هذا الشخص مداهن منافق ولا شك في ذلك إذ لا يمكن كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله رضا الناس غاية لا تدرك وكونك تحاول أن ترضي الناس جميعا غاية لا يمك إدراكها , لكن هناك غاية تدرك ومطلوبة , رضا الناس غاية لا تدرك وليست بطلوبة لكن رضا الله غاية تدرك وطلوبة سبحانه رضا الله غاية ترك لمن وفقه الله وتعرض لمرضاته رضاه غاية تدرك وطلوبة يجب أن يكون الداعية على باله هذا المعنى عندما يتزل الميدان للدعوة ومن لا يستطيع هذا فليجلس في بيته .

تتمة الدرس:

الحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على هذا النبي الكريم والرسول الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد

فقد تقدم الكلام على الآيتين السابقتين في بيان القبول وأن قبول لا إله إلا الله وقبول ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من شروط لا إله إلا الله ومن قال لا إله إلا الله ولم يقبل مادلت عليه هذه الكلمة ولم يقبل هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم يقبل ما جاء في كتاب الله من عقيدة وشريعة وأخلاق وسياسة واقتصاد ولم يقبل كل ذلك والتمس الهدى في غير كتاب الله وغير هدي محمد صلى الله عليه وسلم لا ينفعه كلمة لا إله إلا الله أي التكلم بلا إله إلا الله كلمة جوفاء غير نافعة , لابد من القبول والإذعان يبين ما جاء في الآيتين الحديث العظيم الذي بين أيدينا.

ومن السنة : أي الدليل من السنة على أن القبول شرط من شروط لا إله إلا الله , نحن نعدد شروط لا إله إلا الله ماثبث في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلِم وعَلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ﴾ رواه البخاري ومسلم.

شبه النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والعلم والنور والرحمة , شبهه بالمطر الغزير الذي ينزل بغزارة وهو دائما لا ينقطع هذا المطر الكثير إذا أصاب الأرض التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول : أرض طيبة قبلت الماء وشربت ورويت فأنبتت العشب الكثير فحفظت بعض الماء على ظهرها كالغدران التي تبقى في بعض الأماكن المنخفظة بعد السيول لينتفع بها الناس , انتفعت هذه الأرض الطيبة بالمطر وبالماء شربت ورويت فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وانتفع به الناس أي بهذا العشب بهذا الخير وبآثار هذه الرحمة في أنفسهم وأموالهم وسقوا وزرعوا وانتفعوا , أولا هي انتفعت ثم نفعت , قلوب عباد الله حيال ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام كهذه الأرض من القلوب ماهي بمثابة هذه الأرض الطيبة قلوب تقبل الهدى والنور والعلم ويوفق الله أصحاب هذه القلوب فينتفعون بهذا العلم فيعملون به وثم ينفعون غيرهم بالدعوة إلى ما علموا وعملوا به فهذه القلوب خير قلوب العباد.

الطائفة الثانية من الأرض : أرض صلبة قوية بحيث ليست ربوة منخفظة أمسكت الماء ولكن ليس فيهـا قـوة الإنبات فيها قوة الحفظ تحفظ الماء ولا تضيع الماء ولا يضيع الماء في بطنها ولكن يحفظ الماء على وجهها وينتفع الناس بهذا الماء , قلوب تقبل الهدى والعلم والنور ولكن لا يوفق أصحابها للعمل بهذا العلم وبهذا الهدى ولكن ينتفع الناس بعلمهم وإن كانوا هم في حد أنفسهم لا ينتفعون كتلك الأرض الصلبة القوية التي تحفظ الماء على وجهها وهي ليس فيها قوة الإنبات ولكن فيها قوة الحفظ فحفظت الماء وانتفع الناس بهذا المـاء في أنفـسهم ومواشيهم .

القسم الثالث : أرض هي قيعان , أرض هي سبخة أو رمال لا تمسك الماء ولا تشرب فتنبت ولا تحفظ المـاء على ظهرها ولكن الماء يضيع وهذا أكثر قلوب العالم .
ويقول العلامة ابن القيم وهذا لا ينطبق إلا على الكفار , والمسلم مهما يكن لابد أن يحصل له شيء أو لديـه شيء من الإستفادة بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من العلم والنور والهدى قَلَّ أو كَثُرَ عَمِلَ أو لم يعمل أو على الأقل يحفظ ذلك العلم فيبلغه لغيره فينتفع به ذلك الذي يبلغه يحصل من شيء من الإنتفاع , أما الذي يكون بمثابة الرمال والأرض السبخة التي لا تنتفع بالماء ولا ينتفع الناس بالماء الذي وقع على هذه الأرض أمثال هؤلاء ف الغالب الكثير هم الكفار والمنافقون وعلى كُلٍّ هكذا بَيَّنَ رسول الله عليه الصلاة والسلام في جوامع كَلِمه أن ماجاء به عليه الصلاة والسلام بمثابة ذلكم المطر الغزير وأن القلوب حيال هذا المطر الغزير والخـير الكثير تنقسم القلوب إلى هذه الأقسام الثلاثة وهذا هو الواقع ومحل الشاهد قلوب لم تقبل ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام والقبول شرط للا إله إلا الله , لو قالوا لا إله إلا الله تقية أو مجاملة أو مداراة للجهـة الـتي يعيشون فيها ولم تقبل قلوبهم للا إله إلا الله ولم تقبل قلوبهم ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام مانفعهم قول لا إله إلا الله محمد رسول الله , إذا القبول من الشروط الأساسية.

هكذ تنتهي شروط لا إله إلا الله بأدلتها فعلى شبابنا أن يحفظوا هذه الشروط بأدلتها بل علينا جميعا أن نحفظها ونحاول تطبيقها على أنفسنا وكلما رأيت في نفسك نقصا حيال أي شرط من هذه الشروط راجعت نفـسك وراجعت إيمانك لتعلم بأن الإيمان يزيد وينقص وتخاف على نفسك من النفاق , الذي لا يخاف على نفسه من النفاق لم يعرف الإسلام حق المعرفة , كل إنسان عرضة للنفاق لذلك ينبغي أن يراجع الإنسان هذه الـشروط بأدلتها ويحافظ على إيمانه ويحاول أن يزيده بطاعة الله تعالى وإكثار الذكر وإكثار تلاوة كلام الله تعالى بِتَـدَبُّرٍ وَتَعَقُّلْ , هكذا نسأل الله لنا ولكم الثبات على فهم هذه الشروط وتطبيقها .

هذه الأسئلة أجاب عنها الشيخ رحمه الله بعد نهاية كل درس من الدروس السابقة

السؤال الأول : سائل يسأل فيقول ما معنى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿ لا تضربوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته ﴾ ماهي الأقوال الواردة في هذا الحدث ؟

الجواب : يذكر بعض أهل العلم بعض المصادر للحديث سببا :

﴿ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يضرب غلامه في وجهه فيقبحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضرب أحدكم غلامه فلا يضرب وجهه ولا يقبحه لأن الله خلق آدم على صورته فطوله ستون ذراعا ﴾ هذا تمام الحديث , اختلفوا في مرجع الضمير ونذكر الآن أقوال أهل العلم ثم نأتي بالحديث الثاني ﴿ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ﴾ للتوفيق بن الحديثين ولكني أبادر أن أقول ربما قرأ بعضكم محاضرة تحت عنوان " المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية " محاضرة قديمة كتبتها لعلها أول محاضرة للرد على " محمود محمد طه " السوداني الذي هلك والذي كان يتخبط أحيانا يَدَّعِي النبوة , وأحيانا يَدَّعِي الربوبية وأنشأ له جماعة يسمون الجمهوريون واشتبكت مع هذا الرجل غير مرة في السودان فكتبت ردّاً عليه هذه المحاضرة وهذا الحديث لَمَّا أورده ناقشته فيه وفي ذلك الوقت لم يثبت عندي ولم يصح الحديث الثاني ﴿ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ﴾ لذلك لم ألتفت إليه ولم أعرج عليه لأنه لم يثبت عندي في تلك اللحظة ومن قرأ كلامي في هذه المحاضرة يشعر بأني ربما جعلت هذا الحديث أن ليس من نصوص الصفات هكذا فهمت وهكذا ذكر كثير من أهل العلم ولكن لنا اليوم كلام غير ذلك الكلام أي زيادة إيضاح .

القول الأول من أقوال أهل العلم : أن الضمير في قوله ﴿ إن الله خلق آدم على صورته ﴾ راجع للمضروب ﴿ لا تضربوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته﴾ هذا المضروب ويسمونه التشبيه المقلوب فيه تشبيه الفرع بالأصل , المفروض تشبيه الأصل بالفرع وهنا فيه تشبيه الأصل بالفرع ((إن الله خلق آدم على صورة إبنه المضروب)) أي احتراما لأبيكم آدم لا تضربوا الوجه لأن وجهه يشبه وجه ابنه هذا المضروب هذا معنى وهذا قول.

القول الثاني من أقوال أهل العلم : من نظر إلى آخر الحديث " فطوله ستون ذراعا " يعني مرجع الضمير آدم نفسه , إن الله خلق آدم على صورته طويلا هكذا طوله ستون ذراعا لم يتطور كما تطور أبناؤه وأولاده ولكنه خلقه الله هكذا طويلا ستون ذراعا , من نظر إلى آخر الحديث جعل المرجع لآدم.

القول الثالث من أقوال أهل العلم : أن الله خلق آدم على صورته أي على صورة الرحمن توفيقا بين الحديثين , يأتي البحث بعد ذلك في معنى الصورة قال بعض أهل العلم " إن الله خلق آدم متصفا ببعض صفاته تعالى كالعلم والحلم وهو ليس خاصا بآدم بل في غيره , آدم وأولاده فيهم العلم وفيهم السمع وفيهم البصر لكن كما قلنا غير مرة هذا الاشتراك اشتراك في الاسم وفي المعنى العام وبد إضافة هذه الصفات إلى الله تعالى لا مشاركة بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى وبعد صحة الحديث الثاني ﴿ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ﴾ تتبع بعض أهل العلم وصحح وقرظ هذا الكتاب وأيد تصحيحه شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز يكون المصير

على القول الثاني إن هذا الحديث ليس من نصوص الصفات وعلى المعنى الأول أي إذا كان مرجع الضمير الغلام المضروب أو إذا كان المرجع فهو آدم في هاذين الاحتمالين الحديث ليس من نصوص الصفات ولعل السائل يطلب هذا المعنى والله أعلم .

السؤال الثاني : سائل آخر يسأل " إذا سُئِلَ الإنسان عن شيء يعلمه هل يجيب بقدر علمه لتلك المسألة أم يسكت فيحيل السائل إلى من هو أعلم منه ؟

الجواب : إن سُئِلْتَ عن مسألة تعلمها وتعرف الجواب وأنت بحضرة طلاب العلم ومن تظن أنه أعلم منك , تقديرا للسن وتواضعا منك تقول إسأل فلان , إسأل العلماء وأنت تعرف الجواب هذا يفعله كثير من أهل العلم سلفا وخلفا أما إذا سُئِلْتَ وأنت تعلم وليس هناك من يجيب على هذا السؤال يجب عليك أن تجيب فجزاك الله خيرا .

السؤال الثالث : هل المعتزلة يقولون بخلق القرءان وإذا كانوا كذلك فهل يكفرون ؟

الجواب : لما أبعدت النجعة وعندك الأشاعرة , أبعدت النجعة وذهبت للمعتزلة لماذا ؟ بالمناسبة حصلت مناظرة بين الإمام الشافعي وبين أهل الكلام حكم عليه بالكفر صراحة , راجع " كشف الخفاء " ذكر أحاديث مرفوعة وأحاديث لم تصح ولكن مناظرة الإمام الشافعي صحيحة والقول بأنه كافر هذا منقول عنه وعن الإمام مالك ومحنة الإمام أحمد معروفة كثير من أئمتنا صرحوا بكفر من يقول بأن القرءان مخلوق وأنا قلت لكم غير مرة هذه قاعدة " من نفى صفة ثابتة بالكتاب والسنة من صفات الله تعالى فهو كافر " قاعدة " من قال بخلق القرءان فهو كافر " لكن هل القاعدة هذه تنطبق على كل قائل وعلى كل ناف , قد يقول قائل بأن القرءان مخلوق فلا يكفر كذلك سائر الصفات , قررت هذه المسألة في غير مرة بمعنى إلتماس العذر وارد , إلتماس الأعذار في هذا الباب وارد جدا خصوصا في هذا الوصف لأن الجهل فشى بين الناس , الناس جهلت تماما حقيقة ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الباب , في باب العقيدة , لا تُدَرَّسُ اليوم العقيدة الصحيحة المأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام إلا في هذه المنطقة وإلا في المناطق التي انتقل إليها خريجوا الجامعة الإسلامية وزملاؤهم من الدعاة الذين انتشروا في العالم , اليوم في العالم الإسلامي وغير الإسلامي يعني في نطاق ضيق أما كون العقيدة الإسلامية تدرس دراسة واسعة معترفا بها رسمية كما تعلمون هذه لا نغالط أنفسنا إذا كان أولئك لا يزالون يدرسون الأشعرية على أساس أنها عقيدة أهل السنة والجماعة ويقول قائلهم " كلام الله الحقيقي هو الكلام النفسي ليس بحرف ولا صوت " هذا يتوارثونه كابرا عن كابر الطالب عن الشيخ والشيخ عن الشيخ مالهم دليل هكذا نقلنل من مشائخنا , من الرفق بهم ومن الرحمة بهم عدم الكفر عليهم كفرا بواحا طالما هم في تلك البيئة فالله المستعان وعلى كل قول السائل المعتزلة والأشاعرة كلهم يقولون من قال بخلق القرءان فهو كافر إلتماس الأعذار بعد ذلك تطلق القاعدة وبعد ذلك تلمس الأعذار حسب علمك لمستوى الناس.

إنتهى كلامه رحمه الله وغفر له ورفع درجته في عليين إن ربنا لسميع الدعاء

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس

الموضوع الصفحة

- المقدمة 02
- الشرط الأول ((العلم)) 03
- الشرط الثاني ((اليقين)) 04
- الشرط الثالث ((الإخلاص)) 05
- الشرط الرابع ((الصدق)) 07
- الشرط الخامس ((المحبة)) 08
- الشرط السادس ((الإنقياد)) 12
- الشرط السابع ((القبول)) 15
- الأسئـــــــــلة 18